الباب السابع

الاعلام واللغة العربية

obeikandl.com

obeikandl.com

وسائل الإعلام واللغة العربية

اللغة عملة أبدية أزلية متداولة بين الناس،وإذا كانت الدول تُنشئ القوانين وتسُنّ التشريعات لحماية العملة من التزوير فمن باب أولى أن تُصان اللغة من التدنيس والتدليس،حتى لا يتعرض العلم والفكر الذي تحمله إلى الإفلاس واللغة العربية باعتبارها مكون أساسي من مكونات الثقافة العربية،وعنوان هوية المجتمع العربي الإسلامي وقناة إيصال وتواصل بين الأجيال تنقل آثار الأجداد إلى الأبناء وتحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد ،تعتبرضرورة لبناء مهارات التواصل الإنساني ومع ما تمتاز به هذه الحقبة من تفجر عام في تكنولوجيا الإعلام والاتصال،تحول بموجبها العالم إلى قرية صغيرة يسعى فيها الأقوياء تكنولوجياً وإعلامياً إلى فرض لغتهم على الآخرين،يجدر بنا التساؤل عن واقع استخدام اللغة العربية في وسائلنا الإعلامية المرئية قبل الحديث عن آفاقها المتوقعة في ظل التحولات المتهافتة على جميع الأصعدة محلياً وإقليمياً وكونياً؟

تُعتبر اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب لأنها أداة الحاضر وصورة التاريخ،ومنها تقتبس الألوان الحضارية والاجتماعية الدالة على مجاري الأمور ومصائر الأقوام والعربية ليست بدعاً من اللغات،وإنما هي أصدقها شاهداً على هذا الانعكاس والتأثر وعليه فاللغة العربية أولى من غيرها بالرعاية لأنها حاملة كلام الله، وحاضنة تراثنا الغني، وناقلة

تاريخنا المجيد إلى الأبناء والأحفاد،فهي الجسر الذي يصل بين الأجيال والحضارات المتعاقبة،وبالنظر لهذا الدور الذي تضطلع به اللغة العربية،لابد من تحديثها وتطويرها حتى تكون دائماً في مستوى التحديات التي يحفل بها العالم المعاصر.

اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئية:

إذا كانت اللغة تعني حسب تعريف ابن جني مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم،فهل يكفي رجل الإعلام أن يظهر على الشاشة ويتحدث حتى يفهمه الجمهور؟ ذلك أن كثيرا من وسائل الإعلام المرئية كانت تعتقد واهمة أن الجمهور يفهم رسائلها،في حين أن العكس هو الصحيح فمهما اختلفت لغة وسائل الإعلام،فإنها تخضع لحقيقة بسيطة وهي:الوضوح، والدقة، والمباشرة.

وعلى الرغم من أن العربية تعد اللغة الأولى في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط،غير أن واقعها على مستوى الممارسة الفعلية من خلال الحوار والإنتاج الفكري ،يتقهقر إلى آخر السلم لتأتي بعد اللغة اليونانية التي لا يتكلمها إلا حوالي ١٠مليون ومع تنامي وسائل الاتصال وسعة انتشارها،وكثرة الإقبال عليها،لاسيما منها وسائل الإعلام المرئية،ازداد التوجس من مغبة تحول هذه الوسائل بما تملكه من نفوذ جماهيري إلى معاول تنسف اللغة،وتفسد استقامة اللسان، وتهوي بالذوق اللغوي إلى

الحضيض لاسيما إذا كان التلاميذ يقبعون أمام جهاز التلفزيون أكثر مما يجلسون فوق مقاعد الدراسة،فمع إكمالهم مرحلة الدراسة الثانوية يكون التلاميذ قد قضوا ٢٠٠٠٠ساعة مشاهدة في مقابل ١٥٠٠٠ساعة في المدرسة ،ومع إغراءات الوسيلة الإعلامية تقيم جسراً متينا مع هؤلاء تتسلل من خلاله قيم عديدة،قد تؤدي إلى إزاحة ما تقدمه المدرسة أو على الأقل مزاحمته.

وعن وظيفة التلفزيون في المجتمع،يحذر الباحث رينيه شنكر من مغبة انحراف التلفزيون عن دوره وإسهامه في فساد الذوق اللغوي حيث يقول:على التلفزيون أن يأخذ فى الإعتبار أنه وسيلة ترفيه، بالإضافة إلى غايات أخرى،وفي هذا المجال والمجالات الأخرى يخترع لغة محادثة غير طبيعية، تؤثر حتماً في سلامة اللغة الكلاسيكية التي نتعلمها في المدارس فاللغة في التلفزيون تتعرض يوميا لموجات من التشويه والتحريف،والواقع أن لغة التلفزيون في شتى البرامج والأفلام تخترق حرمة اللغة الخاصة التي يكونها كل إنسان لنفسه وتتكون فيه من خلال عائلته وبيئته ووطنه والحقيقة أنه لا يُطلب من رجل الإعلام أن يتحدث إلى الجمهور بلغة سيبويه، ويبالغ في التقعر والتفاصح، إنما أقصى ما يُطلب منه هو احترام قواعد اللغة والمعايير المنظمة لها،مما يضفي على أسلوبه مسحة من الأناقة والجمال،وينأى به عن الإسفاف والرداءة والقصور،وعليه يجدر بمن يتصدى لمهنة الإعلام أن يُحسن التقدير في

إبلاغ رسالته إلى الجمهور بحيث يوصل محتواها إلى المتلقي دون التجني على اللغة تطرفاً أو قصوراً غير أن هذا لا يعني أن في إمكان محبي اللغة العربية، وهم كثر كما نعتقد في طول العالم العربي وعرضه، السكوت دائماً عن تلك المجزرة اليومية التي تنحر اللغة العربية في كل ساعة ودقيقة على الشاشات الصغيرة، في معظمها، إن لم يكن في مجملها، أو عن تلك المجزرة الأخرى التي تطاول أبسط المعلومات وبعض البديهي منها،في برامج عدة يتحدث فيها مقدموها،أو المشاركون في تمثيل حلقاتها بلغة ذات أداء سيئ أو منحرف،كما في كلام مقدمة أحد برامج الأطفال على شاشة المؤسسة اللبنانية للإرسال الذي يصطبغ بلهجة مطاطة ومتعثرة تعبث بالحروف وتراكيب الكلمات، وتُخلط دون مبرر،بين العربية والفرنسية والإنجليزية.

وهذه العجالة لا يمكنها أن تحصي أخطاء تعد بالمئات في كل يوم، من نصب الفاعل، إلى جر المفعول به، إلى اعتبار كل كلمة حالاً وتمييزاً، إلى رفع المضاف والمضاف إليه ناهيك عن الكوارث التي تحل بالمبتدأ والخبر وما إلى ذلك ويصبح الخطر أكثر عندما نعلم أن مجتمعاتنا تكثر فيها نسبة الأمية وتقل فيها نسبةالقراءة،وفي غياب التثقيف والترفيه في الغالب يظل التلفزيون القبلة الوحيدة التي تمتص وقت فراغ المشاهد ويجدر بنا في هذا المقام الإشارة إلى دورالكثيرمن الفضائيات المحسوبة على العربية التي لازالت تحاول أن تكتم ما تبقى من أنفاس اللغة العربية

لترديها ذبيحة على سطورها المشبوهة التي باتت لا تمت إليها بصلة،وحينما تموت لغتنا لن يصلي أحد عليها الجنازة ولا الوحشة إذ الصلاة لا تجوز إلا باللغة العربية فرغم الوعي بالحاجة إلى أهمية تجديد الصيغ الإعلامية وجعلها متناسبة مع التطور التقني المهول لوسائل الاتصال وتنوعها،فإن الوعي باللغة لا يختلف عن الوعي بالحرية،أو الوعي بالغير.

أشارت إحدى الدراسات التي حاولت رصد دور بعض البرامج التي تبثها بعض الإذاعات والتلفزيونات العربية في تلبية احتياجات الأطفال إلى أن:اللهجة العامية هي الغالبة على البرامج الموجهة للطفل،يليها استخدام لهجة تجمع بين الفصحى والعامية،مما يشير إلى أن برامج الأطفال لاتسهم بدورها المفروض في الارتقاء بالمستوى اللغوي للأطفال وفي دراسة أجريت على عينة من شباب الجامعة حول دور الفضائيات العربية في نشر الثقافة العربية،ذكر ٤٥%من المبحوثين أن القنوات الفضائية العربية أدت إلى تخريب الذوق اللغوي العربي من خلال استعمال العامية الفجة،ومسلسل الأخطاء اللغوية الشائعة والمتكررة، والتوظيف السيئ لأسماء البرامج،إضافة إلى ضعف مستوى مقدميها.

وفي ذلك بيان كاف على أن وضع اللغة العربية على شاشات الفضائيات العربية غير مريح ولا يبعث على الأمل إلا ماندر حيث نجد بين الحين والآخر محاولات تثلج الصدور لكنها تفقد عامل الاستمرار ٠

اللغة العربية بين الفضائيات والعولمة:

الإعلام سلاح ذو حدين ،فإذا كان بالمستوى المطلوب لغة وأداء،أصبح مدرسة لتعليم اللغة،وهذا يعني أن وسائل الإعلام قادرة على تربية الملكات اللغوية ورعايتها وتنميتها مما ينعكس إيجاباً على الإعلام نفسه،أما إذا تردى الإعلام إلى مستوى من الإسفاف،فإن ذلك نذير شؤم على تحوله إلى مستنقع آسن،يوشك أن يطال المجتمع بأسره ولاتسلم اللغة من عواقبه المؤذية ويؤدي هجر اللغة إلى هجر الثقافة والقيم المرتبطة بها، وبذلك يتأسس فراغ لغوي وثقافي تتدفق اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه فقتل الفكر جريمة أشد من قتل الجسد،إنّه يرد الإنسان حيوان دون هوية،والشعوب تنهار إن لم تكن محصنة من داخلها لا من حولها ولمواجهة عصر الكوكبة وتفجر المعرفة المتنامي لثورة الاتصالات والمواصلات،والسماء المفتوحة، كان لابد من الرجوع إلى اللغة العربية بوصفها بوتقة الانصهار العربي والوجداني والفكري لأمة عربية واحدة اللغة العربية هي التي تصنع وحدة الفكر والعقل واستعمال الفصحى لغة للإعلام ليس مطلباً عسير المنال،فلغة الإعلام هي الفصحى

السهلة المبسطة في مستواها العملي والمرونة والعمق،وهي الخصائص التي تجعلها تنبض بالحياة والترجمة الأمينة للمعاني والأفكار، والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة، التي يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق.

وعلى الرغم من غنى اللغة العربية وقدرتها الدائمة على استيعاب مختلف التطورات ،وقابليتها المستمرة للتجديد والتكيف مع التطورات ،فإن دعاة العولمة مافتئوا يروجون لاغتيال اللغات القومية،مشككين في قدرتها على الحياة في عصر الكوكبة، ولاشك أن هذه النظرة تقوم على عنصرية واضحة تتهم فيها اللغات العريقة بالفقر .

واقع اللغة العربية فى الإعلام

إذا كانت اللغة من الناحية الشعورية والوجدانية تمثل روح الأمة، ومن الناحية الثقافية تمثل الوعاء والوسيلة الناقلة للأفكار والتقاليد والخبرات عبر الأجيال المتعاقبة على تاريخ الأمة، وكانت من الناحية السياسية هي معالم الحدود الحقيقية للرقعة الجغرافية الوطنية والقومية، ومن الناحية السيادية أهم أسس الهوية ومكونات الشخصية والوحدة الوطنية، لأية مجموعة بشرية، تعيش في انسجام على وجه الكرة الأرضية إذا كانت اللغة كذلك فلأنها تعتبر بدون منازع أفضل وسيلة للتخاطب بين الأفراد، والتعبير عن أفكارهم وهي وإن لم تعتبر الأداة الوحيدة للاتصال بين الأشخاص، إلا أنها أداة لا غنى عنها لبني البشر لبناء الحضارات

وتشكيل الأمم وتوحيد الأوطان، كما أن للغة أهمية كبرى لكونها أداة فعالة لشحذ الذاكرة ونقل المعرفة والتعبير عن المفاهيم المعقدة.

إذا كان من البديهي القول بأن استعمال أية لغة يتطلب بالضرورة حداً أدنى من إتقانها، ثم امتلاك الرغبة في ذلك بسبب ربط التعلم ذاته، وكذلك الاستعمال بمنفعة ذاتية أو إلزام خارجي اجتماعي أو ديني أو اقتصادي أو سياسي أو إداري وسنتناول سبب هذا القصور الشنيع في استعمال اللغة العربية في واقع الناطقين بها لمعرفة الأسباب والعوامل الذاتية والموضوعية التي أدت إليه :

١- عدم إعطاء بعض العرب مكان الصدارة للغة العربية في بلدانهم:

لا نجد أوضح وأصدق من المقولة العربية : من لم يحترم نفسه لا يحترمه الغير لنطبقها على العرب في هذا الخصوص، حيث إننا لا نكون منطقيين مع أنفسنا، وواقعيين مع التاريخ، أن ننتظر الازدهار والسيادة للغة العربية في وطنها، ونحن نضعها في المرتبة الأخيرة من اهتماماتنا الوطنية والقومية، فنجد من يعتبر اللغة مجرد وسيلة للتفاهم، وإذا حدث التفاهم والتعلم بين الأفراد بغيرها فقد ثبت المطلوب في نظرهم، وبالتالي يكون من قبل التعصب المطالبة القومية أن تكون لغة التفاهم بين أفراد المجتمع العربي، وكذلك لغة التعليم بجميع مراحله وتخصصاته هي العربية وهذا ينطبق على استعمال اللغات الأجنبية، كما ينطبق على

استعمال اللهجات الدارجة العربية التي أصبحت تنشر بها الخطب الرسمية في بعض أقطار المشرق على الخصوص، مما جعل الطلاب الأجانب الذين يؤمون أقطارنا لدراسة اللغة العربية يصدمون بواقع مخجل، حيث لا يكادون يجدون أثراً للغة الضاد في الواقع، فينكبون على تعلم اللهجة المحلية لهذا البلد العربي أو ذاك، لكي يفهموا ما يقال في الصحافة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية، فضلاً عن التفاهم مع أفراد المجتمع الذين يفضلون استعمال اللهجات العامية إذا تعذر عليهم مخاطبة الأجنبي بلغته الأصلية في بلدانهم، وأبرز مثال على ذلك ما نجده في السوق من تداول للقواميس المعدة باللهجات المحلية مع لغة أو لغات أجنبية فنجد مثلاً قاموساً فرنسياً تونسياً أو إنجليزياً مصرياً أو إسبانياً مغربياً أو فرنسياً جزائرياً ولا نجد للفصحى أثراً في الوقت الحاضر، إلا في أوراق الامتحان والكتب المقررة ونحن الآن إذا وجدنا مبرراً للأميين العرب الذين يتحدثون باللهجات المحلية فكيف نجد مبرر للجامعيين العرب طلاباً وأساتذةً وللمثقفين العرب، في احتقار الفصحى، أو التهوين من قيمة التحدث بها على الأقل في الحرم الجامعي، وفي منابر العلم المختلفة فكيف ينتظر العرب أن تنتشر لغتهم في العالم، وتكون لها قيمة عملية تذكر، وهم يحتقرونها في بلدانهم ويفضلون عليها اللهجات المحلية، ويفرضون تعلم هذه اللهجات المحلية على الأجانب القادمين إلى بلداننا لدراسة لغتنا القومية؟ ثم كيف نتصور نظرة الأجنبي إلى العرب

واحترامهم كقوم يدعون أنهم يكونون وحدة ثقافية متجانسة، وهو مضطر إلى إتقان أكثر من عشرين لهجة عربية، كي يفهم العرب أو يتفاهم معهم؟.

ويضاف إلى هذا العامل عامل آخر لا يقل أهمية وتأثيراً عن استعمال اللغة العربية في الحياة العامة عموماً وفي وسائل الإعلام على وجه الخصوص، ويتمثل في مصدر معرفة اللغة في ذاتها، ونعني به المؤسسات العربية المعدة لهذا الغرض، وهي الجامعات والمعاهد العليا بصفتها معامل تخريج الرجال لمجابهة الحياة في مختلف مجالاتها، ودمغ معارفهم وهنا تأتي أكبر مفارقة في واقع اللغة العربية لا نعرف لها نظيراً في أي بلد معاصر في العالم.

٢- سيطرة اللغات الأجنبية على الأقسام العلمية في معظم الجامعات العربية في المشرق والمغرب على حد سواء.

وابتعاداً عن تعليق هذا التقصير الخطير على شماعة الاستعمار، نذكر أن هذا الوضع الشاذ الذي توجد عليه اللغة العربية في جامعات الدول المنتسبة إليها والذي له انعكاسات خطيرة على استعمالها في مجالات الحياة يعود لا شك في تاريخه إلى الحملة الصليبية التي شنها الغرب على البلدان العربية بدءاً بغزو فرنسا للجزائر ثم باقى الأقطار العربية وكانت لغة التدريس لكل العلوم العصرية بما فيها الطب والهندسة في

ذلك الوقت اللغة العربية وحدها ولكن بعد أن أمسك المحتل قبضته على أرض الكنانة والأزهر الشريف أصدر قراره بجعل لغة تدريس الطب وجميع الفروع العلمية في الجامعات المصرية باللغة الإنجليزية بما فيها جامعة الأزهر وما يزال الوضع منذ ذلك التاريخ محنطاً على ما كان عليه حتى هذه اللحظة، بل ازداد تدهوراً وخطورةً بتوسعه إلى بعض المواد الاجتماعية والإنسانية الأخرى التي كانت تدرس باللغة العربية في عهد الاحتلال لتعجم اليوم تحت شعار الانفتاح والتخلص من عقدة الاحتلال وفي هذا الخصوص نورد هذه الشهادة للأستاذ فهمي هويدي الكاتب والباحث المهتم بالهم الحضاري العربي والإسلامي، حيث يقول ما نصه: (... سياسة الانفتاح المنفلت التي أنتجتها الدول العربية بدرجات متفاوتة، حيث أدت إلى ما نشهده من هجوم واسع النطاق للسلع الأجنبية متوازياً مع هجوم للثقافة الأجنبية حتى أصبح الذين يجيدون اللغات الأجنبية هم المتميزين اجتماعياً واقتصادياً، وصارت المدارس الأجنبية تحظى بإقبال غير عادي، ووجدنا بعض الجامعات الوطنية تفتح فروعها للتدريس باللغات الأجنبية، الأمر الذي لا يخلو من مفارقة فبعد أن حقق العمل الوطني إنجازه بتعريب التعليم الجامعي خصوصاً في كليات الدراسات الإنسانية،وبينما الأصوات تتعالى لمواصلة الشوط بتعريب مناهج الكليات العلمية من طب وصيدلة وهندسة وما إلى ذلك، إذا بنا نجد الكليات التي تم تعريبها تعود للتدريس باللغات الأجنبية، على الأقل

هذا ما حدث في جامعة القاهرة وما وقع لمصر قديماً وحاضراً وقع في كلية طب بيروت التي كانت تدرس بالعربية وقد أصبحت منذ الاحتلال، وما تزال إلى الآن، تدرس باللغة الإنجليزية أما بلاد المغرب العربي فالأمر أكثر استفحالا في هذا المجال وكان من نتائج ذلك أن عمل الاحتلال على تشويه صورة استعمال اللغة القومية في مختلف المجالات خاصة في مجال الإعلام والصحافة بصفتها الواجهة المرئية التي تعكس أوضاع الأمة للناظر إليها من الخارج.

هل انهزمت الفصحى؟

إن الواجب القومي والإسلامي أن تقوم حملةٌ كبيرة للتوعية بضرورة العودة إلى الفصحى، بعد أن انتشرت العامية هذا الانتشار السريع، خاصة في البيت والمدرسة والجامعة، وتخطط لوقف هذه المؤامرة وبدراسة عميقة للطرق التي توصل إلى حب اللغة العربية لأبنائها؛ لأن لها قدرة قوية على الوقوف ضد هذه التيارات، ولا لوم علينا فالغرب شديد المحافظة على لغته والتخلص من اللغات الأخرى، ففي ولاية تكساس قرية صغيرة عدد سكانها ٧٨٠٠ اختارت الأسبانية لغة لها، فثارت طبول الإعلام على مدينة السنزو الأمريكية، ورأوا الخطر المحدق بأمريكا، وعلى اللغة الأمريكية من هذه الظاهرة، وهي قرية صغيرة في ولاية تكساس، وبدأ العلماء والباحثون يدرسون خطر اللغة الأسبانية

التي اتخذتها قرية السنزو على أمريكا، وعُدَّت القرية خطراً على لغة أمريكا القومية، وقورنت بما صنعت كيوبك في كندا التي تستعمل الفرنسية بالرغم من اتساع اللغة الإنجليزية وسيطرتها العالمية.

وفي فرنسا صدرت مذكرة عن تعليم العامية للعرب وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وحجتهم أن العرب الذين في فرنسا يتكلمون العامية، ولا يعرفون الكتابة، والنص المكتوب باللاتينية يسهل عليهم الفهم، ويساعدهم على النجاح في تعليمهم الجامعي، والواقع أن البعد السياسي والتعصب الديني ضد العربية من أهم دواعي هذه الحملة ووسائل الإعلام العربي المرئية والمسموعة أخذت تمعن في استعمال العامية، والعامية المحلية، فهناك في لبنان مثل هذه الوسيلة واضحة وإذا أرسل قارئ رسالة بالفصحى تقرأ باللهجة اللبنانية العامية، إنها خطة مدروسة لتحدي الفصحى.

إن دعاة العامية أو النبطية أو الشعبية يدارون ضعفهم في ركوب موجة العامية؛ مدعين أنها أقرب إلى فهم العامة، وأتساءل لماذا يهبطون إلى العامية ولا يرتفعون إلى الفصحى؟ ومسلسلات التراث يقبل عليها الناس بلهفة ويفهمون أحداثها فهماً واضحاً.

أثر وسائل الإعلام في إفساد الذوق اللغوي

لاجدال في وجود صراع واضح بين العاميَّة والفصحى في مختلف مجالات الحياة اليومية، ونجد ذلك في المدارس والجامعات، ووسائل الإعلام، وهي ساحات لحماية الفصحى والذَّود عنها؛ لأن العامية داء استشرى بين العرب.

بدأت الظاهرة منذ بداية عصر النهضة، وأحس بها الغيارى، ودافعوا عن الفصحى مثل الرافعي وحافظ إبراهيم وغيرهم، وقد عرف من دعاة العامية وليم سبيتا الذي أراد إثبات رأيه فوضع كتابه قواعد اللغة العاميّة في مصر، وطالب بأن تكون العامية لغة الآداب، والعلوم، والفنون، ورأى الفصحى محدودة في المفردات، وظن أن هناك اختلافاً كبيراً بينها وبين العاميّة، وقال أن الفصحى تؤخر الحضارة وفاته أنها اللغة التي دامت طوال قرون طويلة، واستوعبت ثقافات الأمم وحضارات العالم، وازدهرت بها، وما نزال نفهم الكثير من الأدب الجاهلي والإسلامي والأموي بيُسر وسهولة، وأن الإنجليز اليوم لا يفهمون لغة جوسر ولا لغة شكسبير، ولغة كتابهم إلا بواسطة المعاجم على الرغم من قصر عمر الإنجليزية واللغات الأخرى، واضطرت الشعوب الغربية إلى التخلص من اللاتينية، واستعمال الشعبية؛ للبعد الكبير بينها وبين الإيطالية والفرنسية والأسبانية.

دعاة العامية:

وجاء ولكوكس الذي كان في دعوته يهاجم الفصحى ويسخف اللغة العربية، ويزعم أنها عاجزة عن مسايرة ركب الحياة الحديثة، وادعى أن الشعب المصري تأخر؛ لأنه لم يستعمل العامية، وعاقته الفصحى عن الابتكار والاختراع، ونشر إعلاناً في مجلة الأزهر يغري فيه باتخاذ العاميّة لغة للكتابة والأدب قال فيه من قدم لنا هذه الخطبة باللغة الدراجة المصرية وكانت موافقة جداً يكافأ بإعطائه أربعة جنيهات (إفرنكية)، وإن كثر المتقدمون فيعطى هذا المبلغ لمن يسبق[1].

والدعوة إلى العاميّة انتشرت في كتابات الغربيين والعرب ومن الغربيين كارل فولرس الألماني الذي هاجم الفصحى؛ لأنها جامدة، فلم تساعد المصريين على النهضة الفكرية والتقدم الحضاري، وحسبها كاللاتينية التي ماتت، فألف كتاب اللهجة العامية في مصر ١٨٩٠م، كما ألف سلدن ولمور الإنجليزي كتاباً سماه العربية المحلية في مصر، وحسب أن اللغة الإنجليزية ستسيطر على مصر، واتفق هؤلاء على ضرورة جعل العامية لغة العلوم والآداب والفنون، ونستغرب من الأستاذ

١- الفصحى في مواجهة التحديات - نذير محمد مكتبي، ١٢١.

أحمد لطفي السيد تساهله في قبول المسميات الأجنبية ورأيه أن العربية فقيرة، وأن لغة الجمهور ستخرج الفصحى من جمودها، وأن يكون الصلح بين العامية والفصحى، وعندها تستعمل مفردات العامية وإن وضع شرط عدم الابتذال ولكنه يعود فيقول: يجب أن نتذرع إلى إحياء العربية باستعمال العامية ومتى استعملناها في الكتابة اضطررنا إلى تخليصها من الضعف،وجعلنا العامَّة يتابعون الكُتّاب في كتاباتهم، والخطباء في خطاباتهم، والممثلين في رواياتهم.

وأعمال مجمع اللغة العربية في مصر دليل على أن الفصحى قادرة على استيعاب الجديد عندما وضع عدداً كبيراً من معجمات متعددة في كل العلوم الحديثة، وما زال يوالي عمله ومعه مجامع اللغة العربية في دمشق والأردن وبغداد والمغرب.

الإعلام اليوم:

وهذه المشكلة أخذت حيزاً من الكتاب في الصحافة اليوم، فقد كتب الأستاذ فهمي هويدي[1] مقالاً بعنوان: دعوة إلى تعريب لسان العرب يذكر ما حاق باللغة العربية من إهمال وعبث، وسماه كارثة في العالم

---

[٣] جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٠/٢/٢٤.

العربي؛ لأنه رأى طلاب الأزهر في المرحلة الابتدائية ملزمين بتعلم الفرنسية، مع أن فرنسا تحرم تعليم أي لغة أجنبية في تلك المرحلة المبكرة، ولما رأى تفاقم الحال قال بصراحة: آن الأوان لرفع الصوت عالياً بالدعوة إلى تعريب لسان العرب.

وقال: إنه كان يلح طوال سنوات على الدفاع عن لغة القرآن في الدول الإسلامية في آسيا وأفريقيا حيث يطلق على الحرف العربي اسم الحرف الشريف، ولكن لم تبق غير دول محدودة تستعمله مثل إيران وباكستان وأفغانستان، وقال: إن حجم الكارثة جعل صوتي أكثر اختناقاً بعد أن حلت الكارثة باللغة العربية، وأشاد بقرار تونس جعل عام ٢٠٠٠م عام اللغة العربية، وتألم للتراجع المستمر عن العربية التي تمثل شخصية الأمة القومية، وألا يكون تعلم لغات أجنبية على حساب اللغة العربية، وقال بمرارة: لنعترف أن اللغة العربية هُزمت في بلادها، وأنها تتلقى كل ضربة موجعة ومهينة.

وأشار إلى أن موريتانيا تخلت عن العربية في مدارسها وكانت إحدى قلاع العربية ومناراتها التي وصلت إشعاعاتها إلى أرجاء غرب أفريقيا، وقال: إن أحد الرؤساء العرب يدير المؤتمرات باللغة الفرنسية، وكان يجيب عن أسئلة الصحافة العربية بالفرنسية.

وفي بعض دول الخليج أصبحت الأوردية اللغة الثانية بعد العربية، وأشار إلى انتشار خطر قائم في الخليج من كثرة المدارس التي تدرس باللغة الإنجليزية، وغدت اللغة العربية لغة هامشية.

أما الأردن فقال: إن الإنجليزية أصبحت من لغات الخطاب، وكادت أن تتحول إلى لغة رسمية وعن مصر قال: شيء محزن حقاً أن يصل تراجع اللغة العربية في أكبر دولة عربية، حيث أصبح تعلم الأجنبية هدفاً قومياً، وأصبح الدخول إلى المدارس الأجنبية هدفاً، والرطانة هي المعتمدة في أواسط كثيرة منها وقال: نشرت بعض الصحف أن إجادة اللغة الأجنبية كانت أحد شروط الدخول في الوزارة في مصر ومن الطريف أني قابلت رئيس وزراء الصين شون لاي وكان يتحدث معي باللغة الصينية، فقلت يا سيادة الرئيس أنت تعرف الفرنسية والإنجليزية فلماذا لا تتحدث معي بالإنجليزية؟ فكان رده علي باللغة الصينية، وتجاهل قولي.

وكتبت زينب حفني مقالاً: حتى لا توءد لغتنا على يد أبنائها، وعَزَت انتشار العامية إلى الإعلام، وتساءلت عن الكيفية التي من الممكن اتباعها لإيجاد توازن بين الفصحى والعامية؛ حتى نحافظ على لغتنا من الاندثار وقد رأت عدة عوامل هدمت اللغة العربية؛ أهمها: مجال الفن المتمثل في السينما والمسرح، الزاخر بالإسفاف، والإعلام بجميع وسائله، والفضائيات العربية التي تتسابق في إذاعة الغث من المضامين،

ودور الأسرة، ومناهج التعليم، كما صرفت الانترنت والحاسبات الشباب عن لغتهم، وألقت اللوم على النوادي والجمعيات الأدبية التي لا تتحمل مسؤولياتها، وإلى كتاب يستعملون العامية واللغات الأجنبية، وودَّت أن تسعى المجامع اللغوية في رفع مستوى العربية، وأشارت إلى توصيات الدورة الخامسة والستين، وهاجمت المحال والشركات والفنادق التي لها أسماء أجنبية، ورأت وجوب منع هذا الأمر بتاتاً، إلا أن هذا لم يطبق حتى الآن وأصبح نسياً منسياً، وفات الكاتبة الفاضلة أن المجمع ليس سلطةً تنفيذية، وأن قراراته طالما حُفِظت في أدراج الوزارات المسؤولة.

ومن الغيارى على اللغة العربية كاتبٌ من الهند، فقد قرأت مقالة في مجلة الداعي بتوقيع: أبو أسامة بعنوان اللغة العربية تتطلب اليوم اهتماماً أكبر من العرب؛ لأن لسان العربية ليس للعرب والمسلمين، كعامة اللغات، وإنما هي جزء من حقيقة الإسلام، فقد كانت لغة الوحي ومعجزة الرسول ص ولسان دعوته، وخلَّدها القرآن الكريم بخلوده، وأكرم بها المسلمين أن ينطقوا باللغة التي نطق بها الرسول ص وأن يخطبوا ويكتبوا باللغة التي اختارها رب العالمين[1].

١ـ الداعي مجلة تصدر في الهند، العدد ١٣/٨ ديسمبر ١٩٩٩م، كاتب المقال نور عالم أميني.